الفصل الرابع

ملك سليمان
أين هي مملكة سليمان الهيكل المزعوم؟
ماذا يقول الآثاريون وعلم الآثار؟
شهادات يهودية تنقض التوراة.

كان بودنا أن نتحدث عن موت النبي سليمان عليه السلام حسب النص القرآني باعتبار أن الفصل السابق كان مخصصاً لدراسة النبي سليمان من خلال النص القرآني. لكننا آثرنا أن نؤجل الحديث في موت هذا النبي عليه السلام كي ننهي الكتاب مع نهاية حياته على الأرض. ورأينا أن نجعل هذا الفصل وهو الثالث من هذا العمل مخصصاً لدراسات ملك سليمان والهيكل المزعوم وآراء الباحثين الأجانب واليهود وغيرهم في حقيقة هذا الملك على ضوء دراساتهم للتوراة مقارنة بما أفادهم به علم التاريخ وعلم الآثار.

ولعل أهم الشهادات تلك التي جاءت من علماء الآثار الأجانب واليهود أمثال كاثرين كانون وأمثال إسرائيل فنكلشتاين ونيل آشير سيلبرمان. وطمسون وغيرهم. فهي شهادات علمية مهمة على الرغم من أن بعضها يقصد إلى عدم التهويل بملك سليمان مع الإيمان بأن لليهود حقاً في فلسطين، وهذا ما سننبه له خلال تحليلنا للنصوص والدراسات التي قدموها.

وبداية الأمر نقول إن ما عرفناه عن النبي سليمان في القرآن الكريم هو مخالف تماماً لما جاء في التوراة. ونحن نؤمن بأن ما جاء في القرآن هو حديث عن نبي كريم سخر الله الكثير من المخلوقات لتنجح دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، وهو منزه ومعصوم عما يخطئ به البشر العاديون، لذلك نحن نرى الحديث عنه هو كأي حديث عن أي نبي من أنبياء الله، والأنبياء بنظرنا وإيماننا جميعهم مسلمون أسلموا الله قلوبهم ووجوههم وحياتهم.

ولذلك عندما نتعرض للنبي سليمان وملكه في الدراسات الآثارية والتاريخية فإننا نعرضها دون أن ينقص من إيماننا شيء بالنبي سليمان عليه السلام ونبوته وما سخر الله من الجن والطير والحيوان. وبالمحصلة نستطيع أن نرى أن هذه الدراسات استندت في كل ما قالته عن النبي سليمان على نصوص التوراة وعلى ما رواه اليهود حوله وليس له علاقة بما جاء في القرآن الكريم. فإن زادوا وبالغوا فإنهم المسؤولون عن ذلك وإن انتقصوا فإن إثمهم عليهم.

وبذلك نستطيع أخيراً أن نقول إن رؤيتنا المستندة على القرآن الكريم تبين لنا أن هناك شخصيتين للنبي سليمان. الشخصية القرآنية والشخصية التوراتية. وهناك فروق جذرية وجوهرية بين الشخصيتين تظهر لنا كما ظهرت من خلال النصوص هنا وهناك.

أين كانت مملكة سليمان عليه السلام؟

إذا نظرنا في جميع ما جاء في نصوص التوراة نرى تناقضاً كبيراً في تحديد الجغرافيا التي تواجد فيها الملك سليمان عليه السلام. وهذا ما جعل الدارسين يتوقفون عند هذه الجغرافيا ويبحثون في حدودها وإمكاناتها.

ومن الطبيعي أن يتوقف الباحثون عندما تركه النبي داود من مملكة يرثها ابنه سليمان.

بداية وبعد موت شاؤول وأولاده الثلاثة لم يبق أمام بني إسرائيل إلا داود عليه السلام فذهبوا ونصبوه ملكاً عليهم في الخليل، ثم جاء أسباط إسرائيل ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل. وتقول التوراة إنه ملك في حبرون على يهودا سبع سنين وستة أشهر وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة.

وتقول التوراة: (وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض).

وهذا يعني أن سكان يبوس ـ القدس ظلوا فيها ولم يدخلها داود عليه السلام ولا الإسرائيليون. وتتحدث التوراة عن قتال جرى بين داود والمؤابيين والفلسطينيين، وتأتي التوراة على ذكر بعض المناطق التي هي ممالك صغيرة حاربها داود مثل صوبة عند نهر الفرات. وتتخيل التوراة أن ملك داود امتد إلى آرام دمشق وباطح وبيروثاي وحماه ووادي الملح ثم تتناقض التوراة فتقول: وكان بعد ذلك أن ملك بني عمون مات وملك حانون ابنه عوضاً عنه فقال داود: أصنع معروفاً مع حانون بن ناحاش كما صنع أبوه معي معروفاً.

فقبل ذلك قالت التوراة أن العمونيين أصبحوا عبيداً لداود بعد أن هزمهم في الحروب وتعود فتقول: إن عمون ظل ملكها عليها حتى مات وخلفه ابنه ملكاً على عمون.

وتستمر الحروب بين داود عليه السلام وبين الفلسطينيين وقد ورد ذلك في الإصحاح 21 من سفر صموئيل الثاني.

وعندما تسلّم سليمان الملك بعد أبيه ورث مملكته الغامضة في حدودها. وتورد التوراة في الإصحاح الرابع من الملوك الأول أن سليمان كان متسلطاً على جميع الممالك من

النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر. وهذا يعني أن سليمان لم يكن يخضع هذه المناطق مباشرة له، إنما كان مهاباً من قبل هذه الممالك إما بتحالفات أو بغيرها.

وتقول التوراة: (وكان له صلح من جميع جوانبه حواليه) ثم تقول: (وسكن يهوذا وإسرائيل آمنين كل واحد تحت كرمته وتحت تينته من دان إلى بئر السبع).

وهذا يشير إلى أن مملكة داود وسليمان التوراتية شملت بعض أجزاء فلسطين الشمالية وبعض الأجزاء الجنوبية، فدان في الشمال وبئر السبع في الجنوب.

وبعد هذا ما تقول الدراسات عن مملكة النبي سليمان؟

يقول الدكتور أحمد سوسة: أما الوصف الذي جاء في التوراة واعتاد المؤرخون ترديده عن اتساعه وامتداد حدود مملكة سليمان فيعده أكثر الباحثين من قبيل المبالغات التي درجت عليها دويلات تلك العصور.

والحقيقة أن مملكة سليمان التي تبجح اليهود بعظمتها كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر قائمة على حراب أسيادها الفراعنة الذين كان أهم ما يهدفون إليه من وراء هذا الإسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الأقوام الطامعة بمصر وفي مقدمتهم الآشوريون، وكان سليمان يريد أن يجاري الفراعنة في البذخ والظهور بما هو فوق طاقته وإمكاناته الاقتصادية وذلك بإغداقه في إقامة الأبنية الشاهقة والقصور الفخمة فأثقل كاهل الشعب بكثرة الضرائب كما أثقل كاهل خزينته بالديون المتراكمة حتى اضطر أن يقدم إلى حيرام ملك صور عشرين مدينة في أرض الجليل مقابل الديون التي تراكمت عليه، ولما عسر على سليمان أن يحتل أرض الفلسطينيين الساحلية طلب معونة فرعون مصر فجاء هذا الفرعون وأحرق مدينة جازر وسلمها لسليمان.

ويعلق المؤرخ المشهور ويلز (Wells) على التمادي في الخيال والمبالغات في تصوير اتساع حدود مملكتي داود سليمان فيقول في ذلك: (ولا يستطيع أحد أن يزعم أن أرض الميعاد وقعت يوماً بيد العبرانيين «اليهود») ويلوح أن داود وضع نفسه في حماية حيرام ملك صور فثبّتت هذه المحالفة الفينيقية ملكه.

ويشرح ويلز كيف صور كتبة التوراة مملكة سليمان صورة تفوق الواقع بكثير قال: (من الخير أن لا تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور. فسليمان لم يكن وهو في مجده

إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة. وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث إنه لم تمض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على القدس ونهب معظم ما فيها من كنوز. ويقف كثير من النقاد موقف المستريب إزاء قصة مجد سليمان التي توردها أسفار الملوك والأيام وهم يقولون: إن الكبرياء القومي لدى كتّاب متأخرين هو الذي دعاهم إلى إضافة أشياء إلى القصة والمبالغة)[1].

ويقول ويلز: إن سليمان تحالف مع حيرام ملك صور. وطفق هذا يستخدم مملكة سليمان طريقاً عاماً يسلكه بوساطته إلى البحر الأحمر فيبني فيه السفن. ويقول: إن قصة ملك سليمان وحكمته التي أوردها الكتاب المقدس تعرضت لحشو وإضافات على نطاق واسع على يد كاتب متأخر كان مشغوفاً بالمبالغة في وصف رخاء عصر سليمان ومولعاً بتمجيد حكمه.

ويقول: وإذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحوطمس الثالث أو رعمسيس الثاني أو نبوخذ نصر فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه الهينات. إذ لم يتجاوز سليمان بالنسبة للملك التاجر حيرام منزلة المعاون له على تحقيق خططه ومشروعاته الواسعة النطاق فأما مملكته فهي رهينة تتجاذبها مصر وفينيقيا وترجع أهميتها إلى ضعف مصر في ذلك الوقت)[2].

أما كتاب (التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها) فقد كان شاهداً كبيراً يستند على علم الآثار الموثّق ليعري المقولات التوراتية ويكشف زيفها.

وقد بذل الكاتبان إسرائيل فنكلشتاين وسيلبرمان جهوداً بالغة في التحقيق العلمي على الرغم من أن الأول يهودي يعيش في الكيان الصهيوني والثاني يهودي أميركي متخصص في علم الآثار.

وبداية جاء في هذا الكتاب: وفي الحقيقة فإن الوصف التاريخي لإسرائيل في الكتاب المقدس العبري برمته ليس أكثر من تركيبة أيديولوجية ماهرة أو متقنة أنتجتها دوائر كهنوتية في القدس في فترة ما بعد النفي أو حتى في الفترة الهلينية.

إن قراءة بتدبر لوصف الكتاب المقدس العبري لأيام سليمان تُظهر بوضوح أن هذا الوصف تصوير لماضي يتم تحويله لماضٍ مثالي استثنائي وعهد ذهبي مجيد.

---

(1) د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ نقلاً عن كتاب ويلز تاريخ العالم ص 93.

(2) المرجع السابق ص 287 ـ 288.

وما روته التوراة عن ثروة داود وسليمان إنما هي تفاصيل أكثر مبالغة من أن تكون حقيقية فعلاً. علاوة على ذلك رغم كل ثروتهم وقوتهم المروية في الكتاب المقدس لا يوجد لداود وسليمان أي ذكر في أي نص تاريخي مصري واحد أو ما بين النهرين، كما أن الدليل الآثاري على مشاريع البناء المشهورة لسليمان في القدس مفقود تماماً لقد أخفقت كل التنقيبات الآثارية التي أجريت في القرن 19 وبداية القرن 20 حول جبل الهيكل في القدس في التعرف على مجرد أثر بسيط لهيكل سليمان الأسطوري أو مجمع قصره.

وتحت عنوان البحث عن أورشليم يقول فنكلشتاين: لقد كانت صورة القدس في عهد داود وبنحو أكثر في عهد ابنه سليمان عبر القرون موضوعاً لصياغة الأساطير والقصص الرومانسية. لقد صاغ الحجّاج والصليبيون والحالمون من كل نوع قصصاً خرافية حول عظمة مدينة داود وهيكل سليمان.

ولذلك لم يكن مصادفة إذاً أن نجد أن البحث عن بقايا هيكل سليمان كان من بين التحديات الأولى التي أخذتها الدراسات الآثارية التوراتية على عاتقها في القرن التاسع عشر لقد نُقبت مدينة القدس مرة بعد مرة مع التركيز في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي على البحث عن آثار المدينة العائدة للعصر البرونزي والعصر الحديدي تحت إشراف ييغال شيلوح من الجامعة العبرية في مدينة داود. الأمر المفاجئ والمدهش كما أشار إليه عالم آثار جامعة تل أبيب يفيد أوشيشكين أن العمل الميداني هناك وفي الأجزاء الأخرى من القدس حسب الكتاب المقدس أخفقت في تزويد دليل هام على أن المدينة كانت آهلة بالسكان في القرن العاشر ق.م هناك فقدان لأي بناء معماري تذكاري، وليس هذا فحسب بل وكذلك لم توجد آثار حتى لأي قطع فخارية بسيطة، إن أنماط الآثار المميزة جداً للقرن العاشر في المواقع الأخرى نادرة الوجود في القدس.

وقد اعتقد علماء الآثار لعقود من الزمن بأن الدلائل التي تم اكتشافها خلال العديد من التنقيبات التي أجريت خارج القدس دعمت رواية الكتاب المقدس العبري بشأن الحكم الملكي المتحد الواسع. وحسب التوراة كانت انتصارات الملك داود انتصارات على المدن الفلسطينية التي تم تنقيب عدد منها على نطاق واسع، لكن الواقع يقول غير ذلك؛ فالآثار وخاصة الفخارية تقدم دليلاً واضحاً على التوسع التدريجي لتأثير الفلسطينيين في كافة أنحاء البلاد.

ويصل الباحث إلى نهاية مفادها:

في الأوقات الملكية المتأخرة تطور لاهوت متقن في (يهوذا وأورشليم) يهدف لتوثيق وتأكيد الارتباط بين وريث داود وقدر شعب إسرائيل بأكمله. طبقاً للتاريخ التثنوي كان داود التقي أول من أوقف دورة عبادة الأصنام (من قبل شعب إسرائيل) وعقابهم عليها من قبل يهوه. وبفضل طاعته وإخلاصه واستقامته ساعده يهوه على إكمال العمل غير المنهي ليشوع، أي فتح بقية الأرض الموعودة وتأسيس إمبراطورية مجيدة على كل الأراضي الواسعة التي كان قد وعد إبراهيم بها. إذن كانت تلك آمالاً لاهوتية أكثر من كونها صورة تاريخية بالمعنى الدقيق للكلمة، وكانت تلك الآمال تمثل العنصر المركزي في رؤية قوية في القرن السابع لعصر نهضة وطنية أرادت أن تجمع أناساً متفرقين أرهقتهم الحرب لتثبت لهم أنهم مروا بتاريخهم بتجربة قوية لتدخل الله المباشر في مصيرهم وقدرهم. كانت الملحمة المجيدة للحكم الملكي المتحد مثلها مثل قصص الآباء وقصص الخروج الجماعي من مصر وقصص غزو كنعان تأليفاً رائعاً نسج من حكايات وأساطير بطولية قديمة أُدمجت مع نبوءات متماسكة ومقنعة لشعب إسرائيل في القرن السابع ق.م)[1].

الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة

هذا هو عنوان الكتاب الذي ألفته كاثرين كانون عالمة الآثار البريطانية منذ عام 1976 وهو شهادة لا يستهان بها لأن الباحثة مكنت في التنقيبات الآثارية في القدس وفلسطين مدة عشر سنوات حتى توصلت إلى هذه النتيجة المنطقية التي تخالف منظور التوراة العبرانية وتدحض مزاعمها. وسنقتطف من هذا الكتاب ما يخصنا في هذا البحث تحديداً.

تقول العالمة كاثرين: لم يكتشف علم الآثار عن مخلفات كثيرة خارج القدس تعود إلى عهد داود لأنه في الحقيقة لم يشتهر بتشييد الأبنية لانشغاله بزيادة رقعة الأرض التي كان يحكمها.

وتقول: ساهمت اللقى الأثرية خلال السنوات الثلاثين الماضية في إلقاء الضوء على عهد سليمان. فنحن نعلم من وصف العهد القديم شيئاً عن القدس في عهد سليمان. وقد أكدت الآثار المكتشفة تلك المعرفة عن مخطط المدينة كما أتاحت لنا تكوين فكرة عن

(1) التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها / إسرائيل فنكلشتاين/ 190 ـ 191.

مظهرها وعن العمارة والفن المعاصر. ولكن لم تبق أية آثار حقيقية من القدس في عهد سليمان[1].

النبي سليمان والهيكل:

نقف في هذه الفسحة من البحث عند قضية حساسة، دخل فيها البعد الديني في البعد السياسي القومي الصراعي بين العرب والإسرائيليين. لذلك سنتوقف هنا طويلاً لنطل على النص التوراتي الذي يتحدث عن ذلك المتخيل من هذا الهيكل بتفاصيله، ولنطل على آيات القرآن التي لم تأت على ذكر هذا الهيكل المزعوم ثم نتوقف طويلاً عند ما قاله علماء التاريخ وعلماء الآثار لنتبين الحقائق الأكيدة التي تدحض مزاعم اليهود وتنسف مقولاتهم المتخيلة.

وفي هذا الإطار سندرس بعون الله القضايا التالية:

1 ـ النص التوراتي، وصف الهيكل المتخيل.

2 ـ هل بنى سليمان عليه السلام هيكلاً أم أنه بنى مسجداً صغيراً لعبادة الله؟

3 ـ النص القرآني وعقيدة النبي سليمان.

4 ـ ماذا تعني كلمة محاريب التي هي جمع محراب؟

5 ـ هل المسجد الأقصى يقبع فوق ما يسمى الهيكل؟

6 ـ ما هي البقعة المباركة التي أُسري برسول الله محمد ﷺ إليها، وهل هي مكان الهيكل؟

7 ـ الهيكل الثاني.

8 ـ ماذا يقول العلماء حول هذا الهيكل؟

9 ـ الصراع العربي الإسلامي الصهيوني حول القدس وفلسطين.

الهيكل والنص التوراتي الكامل:

يبدأ الحديث في التوراة عن بيت للرب أمر سليمان ببنائه لأن أباه لم يتمكن من بنائه تقول التوراة:

(وأرسل حيرام ملك صور عبيده إلى سليمان لأنه سمع أنهم مسحوه ملكاً مكان أبيه لأن حيرام كان محباً لداود كل الأيام. فأرسل سليمان إلى حيرام يقول: أنت تعلم داود

(1) كاثرين كانون/ الكتاب المقدس والمكتشفات الحديثة/ ص 35 ـ 36.

أبي أنه لم يستطع أن يبني بيتاً لاسم الرب إلهه بسبب الحروب التي أحاطت به حتى جعلهم الرب تحت بطن قدميه. والآن فقد أراحني الرب إلهي من كل الجهات فلا يوجد خصم ولا حادثة شر. وهأنذا قائل على بناء بيت لاسم الرب إلهي كما كلم الرب داود أبي قائلاً إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيّك هو يبني البيت لاسمي).

في هذا النص التوراتي عدة نقاط نتوقف عندها.

الأولى: تشير إلى علاقة حميمة بين حيرام ملك صور وداود عليه السلام وكذلك تابع هذه العلاقة النبي سليمان عليه السلام. بمعنى أن النبيين كانا على علاقة طيبة مع الكنعانيين العرب وخاصة مع الملك الكنعاني حيرام الذي كان يحكم صور وشمال فلسطين ويصل ملكه إلى شمال صيدا. بينما التوراة في أماكن أخرى تشير إلى أن الرب دوماً كان يذكر الكنعانيين من بين القبائل العربية الفلسطينية التي يجب أن تُباد.

الثانية: يعترف النص أن داود عليه السلام لم يستطع أن يبني بيتاً للرب وترك المهمة لابنه سليمان.

الثالثة: النص يقول: (إن الرب قال لداود إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو يبني البيت). فقد أعفى الله سبحانه أولاد داود جميعاً من بناء هذا البيت وكانوا سبعة عشر ولداً واختار سليمان لكي يبني هذا البيت.

وهذا النص التوراتي يخالف تماماً حقيقة نبوة داود ونبوة سليمان مخالفة كبيرة فالمهمة التي ورَّثها داود لسليمان ليس بناء بيت، لأن داود كان يتعبد في معبد فيه محراب وغاية تعبده كنبي ليس بناء بيت أو معبد كما هي معابد الأقوام الوثنية يقول تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ ص 21 ـ 22.

ويقول تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ النحل 16.

ويقول تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ الأنبياء 78.

فداود كان يتعبد في معبد. وأورث لسليمان القضاء والعدل. ولم تشر الآيات جميعها إلى أن داود وصى ابنه أن يبني بيتاً للرب كما تزعم التوراة.

إن النبي داود عليه السلام كنبي ورّث ابنه النبوة كما أراد الله والأنبياء لا يورثون مالاً ولا قصوراً.

وتتابع التوراة حديثها عن هذا البيت فتقول:

(والآن فأمر أن يقطعوا لي أرزاً من لبنان ويكون عبيدي مع عبيدك وأجرة عبيدك أعطيك إياها حسب كل ما تقول لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين) ملوك أول 5: 6.

والسؤال المطروح هل كان النبي سليمان يمتلك عبيداً؟ فحسب نص التوراة هو ملك ولذلك كان له عبيد، وحسب نص القرآن هو نبي قبل أن يكون ملكاً ولم تشر آيات القرآن الكريم إلى استعباد سليمان لأحد من هؤلاء الناس.

وهذا النص يدل على عدة أمور وهي أن النص يعترف أن بني إسرائيل عبارة عن قبائل جاهلة تجهل حتى قطع الشجر وإذا نظرنا إلى النصوص التي بعد هذا النص نرى أن البيت الذي تخيله كاتب التوراة قد بناه الكنعانيون لسليمان، وليس بنو إسرائيل من بنيه. هذا بالطبع إذا كان النص صحيحاً.

ثم تقول التوراة: إن سليمان عليه السلام كان يعطي الملك الكنعاني حيرام كل سنة عشرين ألف كر حنطة طعاماً لبيته وعشرين كر زيت رض هكذا كان يعطي سليمان حيرام سنة فسنة. بمعنى أن الاتفاق بين الطرفين كان اتفاق دفع ثمن خشب الأرز الذي تزعم التوراة أن سليمان اشتراه من حيرام.

وتقول التوراة: وسخر الملك سليمان من جميع إسرائيل وكانت السُّخَر ثلاثين ألف رجل فأرسلهم إلى لبنان، عشرة آلاف في الشهر بالنوبة يكونون شهراً في لبنان وشهرين في بيوتهم.

وكان لسليمان سبعون ألفاً يحملون أحمالاً وثمانون ألفاً يقطعون في الجبل ما عدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاث مئة.

ومن الواضح أن كاتب التوراة يبالغ بالأرقام حتى يصل حد الخيال والوهم. وإذا قارنا بين حجم المعبد الذي يصفه كاتب التوراة وأعداد المسخرين للعمل به برز الخيال والتخيل.

قالت التوراة: إن المسخرين كانوا ثلاثين ألفاً. وكان لسليمان سبعون ألفاً يحملون أحمالاً وثمانون ألفاً يقطعون في الجبل وثلاثة آلاف وثلاثمائة المتسلطون على الشعب فيصبح المجموع 183 ألف وثلاثمائة.

فمئة وثلاثة وثمانون ألفاً يستطيعون أن يبنوا مدينة كبيرة. فهل يعقل أن يُسخّر هؤلاء لبناء معبد طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً. وما الذي يقصده كاتب التوراة من إيراده لهذه الأعداد من الناس الذين عملوا من أجل هذا المعبد؟

ثم من الذي أخبر كاتب التوراة بهذه الأعداد الخيالية، هل نقلها من الكهنة أم من كبار السن من بني إسرائيل الموجودين في بابل بعد أخذهم إلى هناك؟

نعتقد أن كاتب التوراة أراد أن يضفي هالة كبيرة على أعداد من اشتغلوا في هذا المعبد ولكنه أخطأ في تقدير حجم هذا المعبد الذي لا يتناسب مع هذه الأعداد من البشر المسخرين.

وتقول التوراة: وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة حجارة كريمة لتأسيس البيت حجارة مربعة فنحتها بناؤو سليمان وبناؤو حيرام والجبليون وهيأوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت.

والسؤال المطروح من أين قلع البناؤون هذه الحجارة؟ ولماذا اشترك بناؤو حيرام ملك صور الكنعاني في اقتلاع الحجارة والبناء؟

من الواضح تماماً أن بني إسرائيل الذين ما عرفوا شيئاً من الحضارة ولا أسسها أعقدوا حسب النص التوراتي على البنائين الكنعانيين أصحاب الحضارة في التحضير لبناء هذا البيت.

وإذا رجعنا إلى مواصفات البيت كما جاء في الإصحاح السادس من سفر الملوك الأول وجدنا أنها مواصفات تقترب كثيراً من مواصفات المعابد الكنعانية وتأخذ بعض الصفات من المعابد البابلية التي رآها كاتب التوراة عياناً وهو في بابل. ويبدو ـ حسب النص التوراتي ـ أن مهندس هذا البيت الذي أراده سليمان رجل كنعاني تقول التوراة: (وأرسل الملك سليمان وأخذ حيرام من صور وهو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالي وأبوه رجل صوري نحاس) 7.

وبدءاً من الإصحاح السابع. يبدأ كاتب التوراة بإيراد تفصيلات بناء هذا المعبد من خارجه وداخله وأهم ما يمكن أن نتوقف عنده ما يلي:

1 ـ بنى الملك سليمان البيت في ثلاث عشرة سنة. وأكمل كل بيته، وهذا البيت خاص به أما البيت المقصود به المعبد. فبناه في سبع سنين، بمعنى أن بناء بيت الملك استغرق ضعف المدة التي استغرقها بناء معبد الرب.

2 ـ يأتي كاتب التوراة على تفصيلات كثيرة ودقيقة وكأنه يرى المعبد بعينيه ويعاينه قطعة قطعة. وهذا محال؛ لأن كاتب التوراة وُجد بعد النبي سليمان بأكثر من مائتي سنة.

3 ـ يورد الكاتب في وصفه للمعبد الذهب عشرات المرات وتشعر وأنت تقرأ ما يقول بأن جميع أجزاء المعبد من الذهب. وهذا يدل على العقلية المادية التي يتمتع به الحس اليهودي.

يقول: وهيأ محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب ولأجل المحراب عشرون ذراعاً طولاً وعشرون ذراعاً عرضاً وعشرون ذراعاً سمكاً وغشاه بذهب خالص وغشى المذبح بأرز وغشّى سليمان البيت من داخل بذهب خالص وسد بسلاسل ذهبٍ قدام المحراب وغشاه بذهب وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب) ملوك أول 6: 20 ـ 23.

وإذن فالمعبد جميعه مغشى بالذهب! ولكن من أين جاء سليمان بهذا الذهب؟ لا أحد يدري والذي ندريه أن كاتب التوراة تخيل هذا المعبد وأضفى عليه من مخيلته فجاء وصفه كما ورد في هذه النصوص.

وبعد الوصف الشامل لهذا المعبد والذي استغرق عدة صفحات تقول التوراة:

(حينئذٍ جمع سليمان جميع شيوخ إسرائيل وكل رؤوس الأسباط ورؤوس الآباء من بني إسرائيل إلى الملك سليمان في أورشليم لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود.

فما المقصود بهذا الكلام؟ الواضح أن تابوت عهد الرب كان في مكان آخر غير المكان الذي بناه النبي سليمان وجعله بيتاً للرب وعندما تقول التوراة لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود. يعني أن هذه المدينة هي غير القدس لأن التابوت نُقل منها إلى مكان آخر اقتضى أن يُحمل التابوت مسافة طويلة حسب ما جاء في نص التوراة ومع كل ذلك لننظر كيف يعود كاتب التوراة ليقع في مطب التجسيد والتجسيم.

يقول: حينئذٍ تكلم سليمان قال الرب إنه يسكن في الضباب إني قد بنيت لك بيت سكنى مكاناً لسكناك إلى الأبد) ملوك الإصحاح 8: 13.

فمن الواضح أن الفهم لطبيعة ذات الله وملكوته تبدو قاصرة عند كاتب التوراة.

فالله لا يسكن في الضباب، ثم إن كاتب التوراة حبس ربه في هذا المكان إلى الأبد فهل يُعقل هذا الكلام؟ فالله منزه عن السكن ومنزه عن أن يتصور إنسان مخلوق أنه يصنع لربه بيتاً يسكن فيه إلى الأبد.

ولا يتخلى كاتب التوراة عن أسلوب التخيّل والمبالغة حين يقول:

ثم إن الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا ذبائح أمام الرب وذبح سليمان ذبائح السلامة التي ذبحها للرب من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألفاً).

إذن لننظر إلى هذين الرقمين 22 ألف رأس من البقر 120 ألفاً من الغنم. لمن ذبح سليمان هذه الذبائح ومن أين جاء بها؟

لماذا لم يرد شيء عن بيت الرب في القرآن الكريم؟

عندما نراجع النص التوراتي المتعلق بالحديث عن بناء البيت تظهر لنا غاية واحدة وهي أن الرب كان يسكن في الضباب ويحتاج لبيت يسكن فيه. فبنى سليمان هذا البيت.

وعندما نراجع الآيات القرآنية التي تحدثت عن سليمان نجد الأمور مختلفة كل الاختلاف فليست هناك آية واحدة تتحدث عن هيكل أو معبد بناه النبي سليمان.

وهناك إشارتان في القرآن الكريم واحدة تشير إلى كرسي سليمان حيث يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ص 34، وإشارة ثانية في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ سبأ 14.

فالكرسي قد يكون كرسيَّ ملكه وهذا يرتبط بقصده أو ببيت القضاء أو بيته. أما موته فمن المؤكد أنه قد تم في مكان ما. وقد يكون محراباً في معبد أو مسجد والله أعلم.

لكن المهم في سيرة هذا النبي الكريم هو ما ورد في القرآن الكريم وليس ما ورد في التوراة المؤلفة. فهو نبي يدعو إلى عقيدة الإسلام. ولا يستقر له مكان.

والواقع أن الله سبحانه وتعالى عندما يحدثنا عن البيت الحرام أو المسجد الحرام فهو يعلمنا أن هناك بيتاً ينفرد في الأرض كلها بميزات لا تكون لغيره، وهي الحج إليه في أشهر معلومات. وأن ادعاء اليهود بأقدمية الهيكل الذي بناه سليمان حسبما يتصورون ليس سوى تخيُّلٍ من كاتب التوراة.

نحن لا ننفي أن يكون هناك بناء ما نطلق عليه مسجداً قد بناه النبي سليمان ليتعبد فيه. ولكن بالتأكيد ليس هو ذلك الهيكل المتخيّل الذي تخيّله كاتب التوراة، وأضفى عليه فيما روى حساً سياسياً وبعداً استعمارياً.

إننا نعرف أن المسجد الحرام رُفعت قواعده من قبل النبي إبراهيم والنبي إسماعيل ليكون مثابة لكل الناس. فليس للبشرية حاجة لمعبد آخر يُقصد للحج والتعبد حتى أن الله سبحانه عندما أمر إبراهيم برفع قواعد البيت لم يقل لأسكن فيه وحاشا لله أن يُجَسَّد ويحجّم في بيت أو أي مكان.

فالبيت الحرام رمز للتوحيد وليس مكاناً يسكن الله فيه. كما تخيل كاتب التوراة عن ذلك المعبد الذي بناه النبي سليمان عليه السلام.

لذلك قدست عدة شعوب البيت الحرام. قدسه العرب المشركون والأحناف وقدسه الفرس وحاول الأحباش تدميره لكن الله سبحانه دمرهم وبقي هذا البيت محفوظاً فالهنود يعتقدون أن روح إلههم سيفا وهو حسب عقيدتهم الأقنوم الثالث قد حلّت بالحجر الأسود حين زار مع زوجته بلاد الحجاز.

وكانت الصابئة من الفرس والكلدانيين يعدون الكعبة أحد البيوت السبعة المعظمة كما كان أسلاف الفرس يقصدون البيت الحرام ويطوفون حوله تعظيماً له وإجلالاً للنبي إبراهيم عليه السلام لكونه كلدانياً جاء من أور الكلدانيين إلى مكة ثم بنى قواعد البيت. وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك. وكان ساسان إذا أتى البيت كاف به وزار زمزم.

ويروي المسعودي في مروج الذهب أن الفرس كانت تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان وجواهر. وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب إضافة لبعض الجواهر والسيوف والذهب إلى الكعبة وقذف بها في بئر زمزم.

فإذا عرفنا مكانة البيت الحرام بعد هذا الحديث فهل لما يسمى هيكل سليمان تلك المكانة. نحن نعتقد لو أن النبي سليمان عليه السلام بنى معبداً لله لكافة الناس لظل هذا المعبد قائماً يزوره الناس جميعاً. وإذا كان فعلاً قد بُني معبد فإنه معبد خاص بالاختيار البشري وليس بالاختيار الإلهي. كما هو الحال مع البيت الحرام ونصل إلى نقطة هامة في ذلك وهي أن الناس حسب معتقداتهم يستطيعون أن يبنوا معابد لهم في أي مكان يختارونه. بمعنى أن الاختيار البشري لمعابد الناس ليس فيه تقديس ولا تدخل إلهي.

نرى أن الله سبحانه اختار البيت الحرام مكاناً للتقديس العالمي الإنساني. اختار المكان جغرافياً واختار الشعائر والأنبياء المرتبطين به، أما هيكل سليمان المزعوم فهو اختيار بشري ليس لله علاقة به. لكن اليهود حاولوا أن يضيفوا إلى تخيلهم تخيلاً آخر وهو قدسية المكان حتى تخدم فكرة القدسية فكرتهم السياسية وإذا افترضنا أن هناك هيكلاً مقاماً في القدس فهل كان للشعوب علاقة به؟ من كان يعلم به من الشعوب. وحتى لما حرر البابليون القدس وفلسطين من هؤلاء الذين تسربوا إلى الأرض وجدوا معبداً مليئاً بآنية الذهب والأموال ولم يجدوا فيه ما يشير إلى تقديس إلهي تعبدي. بل إن التوراة تشير إلى وجود تماثيل مغشاة بالذهب وإذا كان المعبد هذا موجوداً حسب نص التوراة، فهو لفئة غازية يندثر معبدهم عندما يندثرون أو يخرجون من الأرض. وقد مرت على فلسطين عدة غزوات وكل غزوة كانت تقيم لها معابد لها في الأرض المحتلة، فاليونان بقيادة الإسكندر عندما جاؤوا إلى فلسطين أقاموا فيها معابد وثنية وكذلك الرومان فقد أقاموا معبداً للإله جوبيتر في القدس وزالت هذه المعابد بزوال الاحتلال. وهذا يعني أن المعبد اليهودي إن وُجد فإنه أزيل عندما أزيل التسرب اليهودي أيام نبوخذ نصر.

ولما كان البيت الحرام يستمد قدسيته من اختيار إلهي فقد ظل قائماً منذ أربعة آلاف عام وحتى اليوم ويرتبط بفرض من فرائض الإسلام وهو الحج.

ولابد أن نلاحظ مسألة جوهرية في هذا السياق، وهي أن النبي إبراهيم أقام قواعد البيت وسنّ سنّة أرادها الله. وتبع إبراهيم من آمن به وظل الارتباط قائماً بهذا النبي والبيت الحرام، لأن من آمن أخلص لله ولبى دعوة إبراهيم. وإبراهيم نبي عظيم لم يشوهه الناس بل يعتزون به وبنبوته وأبوته للأنبياء.

بينما النبي سليمان شوهه اليهود واتهموه بأنه كفر وأنه ساحر. وأنه مال بقلبه نحو عبادة الأصنام، لذلك لم يبق من أثره لدى اليهود أي شيء.

لذلك أيضاً أراد الله أن يخذلهم بأن يبيّن لهم أنهم لم يتبعوا سليمان ولم يحفظوا معبده ومحرابه بل جعلوه مكاناً للأوثان ومكاناً للقمار والربا وبائعي الحمام كما قال السيد المسيح.

آراء بعض الباحثين حول النبي سليمان عليه السلام والهيكل:

لا شك أن الكثيرين من الباحثين والعلماء تناولوا بالبحث والدراسة شخصية النبي سليمان عليه السلام على ضوء ما جاء في التوراة وليس على ضوء نبوته كما وردت في القرآن الكريم.

وأعتقد أن هؤلاء الباحثين لو اطلعوا على النص القرآني وتدّبروه لارتاحوا من عناء بحوثهم الإشكالية التي خلقت إشكاليتها النصوص التوراتية وتفسيراتها من قبل حاخامات اليهود.

وعندما نأتي على ذكر هذه الآراء فإننا لا نؤيدها ولا نرفضها إلاّ إذا مسّت مسألة النبوة التي أمرنا الله سبحانه أن ندافع عن الذين جاؤوا بها، وهم الأنبياء، ونقف صداً لكل من يحاول تشويه أي نبي منهم. أو التهجم عليه وعلى نبوته.

ومرة ثانية حينما نورد هذه الآراء فإننا ندرك أنها آراء علماء وباحثين غربيين منهم اليهود ومنهم غير ذلك. وهي شهادات على قضايا تاريخية ودينية توراتية.

وموقفنا سيكون واضحاً تجاهها مستندين على النص القرآني الذي أنزله الله سبحانه ليكون لنا أساساً متيناً وثابتاً لما نبحث فيه.

وبغض النظر عما إذا وافقتنا النصوص والشهادات أم لم توافقنا فإنها آراء تخص قائليها من الباحثين، وهم يتحملون تبعاتها إذا كانت صحيحة أم غير صحيحة.

قد يقر بعض الباحثين: أن الهيكل موجود لكنه معبد كنعاني من حيث الطراز، حيث وضحت يد الكنعانيين في بنائه.

وقد يقول بعض الباحثين إن الهيكل بني على الطراز البابلي بسبب علاقة اليهود بالبابليين وقد يفترض بعضهم أن الهيكل ليس سوى صورة خيالية تصورها كاتب التوراة وهو في بابل، وما يهمنا بالمحصلة أن آراء هؤلاء الباحثين تبقى بين الصحيح وغيره لأنها تقوم على تحليلات واستنتاجات منها آثارية ومنها تاريخية ودينية وما يهمنا في النتيجة هو فهمنا لآيات القرآن الكريم التي ترشدنا إلى الحقيقة دون أي لبس...

شهادة كاترين كانون:

وتقول في الصفحة 65 من كتابها: الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة:

(لم يكشف علم الآثار عن مخلفات كثيرة خارج القدس تعود إلى عهد النبي داود؛ لأنه في الحقيقة لم يشتهر بتشييد الأبنية لانشغاله بزيادة رقعة الأرض التي كان يحكمها).

وتقول: (لم تبق أية آثار حقيقية من القدس في عهد سليمان).

وتقول: (كان يجب أن يكون هيكل سليمان والقصور خارج مدينة داود؛ لأن حجم البناء الذي تصوره يتطلب المساحة المبنية بأكملها ولم يكن التوسع نحو الشمال صعباً؛ لأن السلسلة الشرقية كانت باتجاه التلال ودون فاصل).

وتقول: (ويمكن للمرء أن يستنتج أن زخارف الهيكل التي يصفها العهد القديم بشكل حيوي وغيره من الأبنية كانت من الطراز الفينيقي.

ومن الممكن أن نستنتج مخطط هيكل سليمان من الأدلة التي عثرنا عليها في سورية فمخطط القصرين في زنجرلي يلائم وصف هيكل سليمان بصورة حسنة ويحتوي على مجموعة من قاعات الاستقبال والحجرات الخاصة والباحات، أما الأبنية الإدارية الأخرى للمحفوظات وغيرها والتي كانت تشغل المساحات الجديدة فيمكن أن تكون على نمط الأبنية المشابهة في أوغاريت وماري مع أنها أقدم زمناً).

ويقول الباحث الروسي ريجيسكي: فابتداء من عصر سليمان توطدت الروابط التجارية والسياسية والثقافية بين (العبرانيين) وجيرانهم مصر وفينيقيا وآشور وبابل. وكان من المهم بالنسبة لمصلحة العمل الدبلوماسي والتجارة على حد سواء ليس فقط عدم التصلب الزائد تجاه العبادات الأجنبية بل على العكس إبداء موقف الاحترام إزاءها واكتساب بعض الشيء من طقوس وعادات تلك العبادات.. إن معبد يهوه الذي بناه سليمان في القدس قد شيّده العمارون الفينيقيون الذين أرسلهم حيرام ملك صور. وبموجب وصف هذا المعبد كما وصفته التوراة فإنه كان نسخة طبق الأصل عن المعابد الفينيقية وقد تأكد ذلك فعلاً من خلال الحفريات الأثرية، كما أن بيت بعل الذي بني كمعبد لبعل في القدس إلى جانب معبد يهوه وكذلك معبد بعل في السامرة كان يجب أن يكون لهما نفس الشكل.

وتنبئ التوراة أن آحاز ملك يهود القرن الثامن عندما خرج إلى دمشق للقاء الملك الآشوري رأى المذبح في دمشق وأرسل الملك آحاز إلى أوريا الكاهن شبه المذبح وشكله

حسب كل صناعته. فبنى أوريا الكاهن مذبحاً حسب كل ما أرسل الملك آحاز من دمشق. بعد ذلك يروي النص أن آحاز أقدم بعد عودته على إعادة بناء كبيرة في معبد يهوه وأدخل تعديلات على الطقوس وأنه فعل ذلك من أجل ملك آشور)[1].

كتاب التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها:

يورد هذا الكتاب الذي شارك في تأليفه اثنان من علماء الآثار اليهود وهما إسرائيل فنكلشتاين ونيل آشير سيلبرمان الكثير من حقائق علم الآثار الذي ينفي وجود ما يسمى الهيكل. ويتبع كلٌّ منهما علم الآثار وما توصل إليه الباحثون في هذا المجال. يقول الكاتب الأول: لقد أخفقت كل التنقيبات الآثارية التي أجريت في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حول جبل الهيكل في القدس في التعرف حتى على مجرد أثر بسيط لهيكل سليمان الأسطوري أو مجمع قصره[2].

ومن خلال الآراء المتنوعة حول الهيكل المزعوم نستطيع أن نجمع الآراء المتباينة التي توصَّل إليها العلماء والباحثون الذين تناولوا بالدراسة هذا الهيكل.

فالرأي الأول: يرى أن هناك هيكلاً ولكنه بناء على الطراز الفينيقي بكل تفاصيله.

والرأي الثاني: لا وجود لأي أثر يدل على أن هناك هيكلاً كان موجوداً.

والرأي الثالث: إن الأوصاف التي جاء بها مؤلف التوراة عن الهيكل ليست سوى أوصاف معبد بابلي رآه مؤلف التوراة عندما كان مع المسبيين في بابل.

والرأي الرابع: يرى أن النبي سليمان بنى عدة معابد كي يؤدي عبادته ولم تكن هذه المعابد سوى أماكن صغيرة جداً خاصة للعبادة، وقد أطلق عليها بعض علماء المسلمين اسم مساجد.

ما المقصود بالهيكل الثاني؟

عندما نجح التحالف اليهودي الفارسي في تدمير الدولة البابلية، تزعم التوراة أن الملك الفارسي كورش أطلق نداء في كل مملكته يقول فيه أن الرب أوصاه ليبني بيتاً

---

(1) م. ريجسكي: أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ترجمة آحو يوسف صفحة 48 ـ 49.

(2) إسرائيل فنكلشتاين: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ص 173.

للرب في أورشليم التي في يهوذا. ودعا جميع اليهود أن يتبرعوا بالذهب والفضة لهذا البيت.

وتقول التوراة: (فقام رؤوس آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه الله روحه ليصعدوا ليبنوا بيت الرب الذي في أورشليم).

وتورد التوراة في سفر عزرا الإصحاح الثاني عدد اليهود الذي تزعم أنهم عادوا إلى أورشاليم وتزعم كذلك أن الآلاف منهم تبرعوا بالذهب والفضة من أجل بناء البيت.

وتقول التوراة: ولما استهل الشهر السابع وبنو إسرائيل في مدنهم اجتمع الشعب كرجل واحد إلى أورشليم وقام يشوع بن يوصاداق وإخوته والكهنة وزر بابل بن شآلتئيل وإخوته وبنوا مذبح إله إسرائيل ليصعدوا عليه محرقات كما هو مكتوب في شريعة موسى رجل الله. وأقاموا المذبح في مكانه.

وتقول التوراة: إن مجموع سكان المنطقة من القبائل بعثوا برسالة إلى الملك الفارسي يحتجون فيها على بناء معبد اليهود في القدس وجاء فيها:

ليعلم الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك إلينا قد أتوا إلى أورشليم ويبنون المدينة العاصية الردية وقد أكملوا أسوارها ورمحوا أسسها.

وجاء فيها: ونحن نعلم الملك أنه إذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها لا يكون لك عند ذلك نصيب في عبر النهر.

وجاء رد الملك الفارسي: فالآن أخرجوا أمراً بتوقيف أولئك الرجال فلا تبنى هذه المدينة حتى يصدر مني أمر.

وتقول التوراة: حينئذٍ لما قرئت رسالة ارتحششتا الملك أمام رحوم وشمشاي الكاتب ورفقائهما ذهبوا بسرعة إلى أورشليم إلى اليهود وأوقفوهم بذراع وقوة. حينئذٍ توقف عمل بيت الله الذي في أورشليم. وكان متوقفاً إلى السنة الثانية من مُلك داريوس ملك فارس.

وهناك أحاديث في سفر عزرا عن دعوته لفصل النساء الغريبات اللواتي تزوج منهن بعض رجال بني إسرائيل.

وإذا رجعنا إلى ما قاله هذا السفر وهو سفر عزرا عن بناء هيكل الرب على يد زر بابل ومن ثم عزرا نرى العديد من النقاط التي تحتاج لمناقشة.

أولاً: تزعم التوراة أن اليهود عادوا وتسربوا إلى القدس وراحوا يعودون إلى مدنهم وقراهم التي أخذوا منها في زمن الملك البابلي نبوخذ نصر.

وقد مكث هؤلاء في بابل ما بين الخمسين والسبعين سنة. وقد ظل أهل فلسطين الأصليون من كنعانيين وغيرهم في بلادهم. ومنذ البداية لم يأسرهم نبوخذنصر بل ظلوا في قراهم ومدنهم. فكيف تزعم التوراة أن اليهود عندما عادوا من بابل رجعوا إلى قراهم ومدنهم. وهذه القرى والمدن لم تكن في أساسها إلا مدناً وقرى لأهل فلسطين الأصليين.

فكاتب التوراة يفترض أن الأرض خالية تماماً من البشر بينما كل الدراسات التاريخية والآثارية تقول: إن الشعب الكنعاني العربي لم يغادر أرض فلسطين مطلقاً. ومن ناحية ثانية تورد التوراة نفسها أن الشعوب والقبائل التي تسكن في فلسطين رفضت أن يعمّر اليهود أي بناء في مدينة القدس ولذلك بعثوا برسالة إلى ملك الفرس يطلبون منه منع هؤلاء اليهود من بناء أي شيء في المدينة.

ولابد أن نتساءل لماذا رفض هؤلاء عودة اليهود لاحتلال فلسطين؟ لماذا رفضوا أن يُبنى بيت لرب اليهود في مدينة القدس؟ لأنهم يدركون أن هؤلاء غرباء عن الأرض وهذه الأرض لها أصحابها من الكنعانيين واليبوسيين وغيرهم ممن اعترفت التوراة أن قبائل بني إسرائيل سكنوا بينهم وصاهروهم.

ومن الواضح أنه لولا القوة العسكرية الفارسية والاستعمار الفارسي المفروض على أرض فلسطين لما استطاع هؤلاء اليهود التسرب ثانية إلى فلسطين؛ لأن أهل فلسطين يرفضون أي غريب مستعمر أو متسرب إلى أرضهم.

لقد فرض الفرس على أهل فلسطين أن يقبلوا بهؤلاء اليهود الذين عاد بعضهم إلى التسرب نحو فلسطين. وطالما ساعد اليهودُ الفرسَ في تدمير حضارة بابل وشعبها فإن الفرس سيؤيدون التسرب اليهودي إلى فلسطين، وهذا ما حدث فعلاً.

ومع كل هذا نتساءل: إذا كان اليهود المتسربون قد بنوا فعلاً معبدهم المسمى هيكلاً فما هي مساحته وأين كان يقع وما هي صفاته بشكل عام؟

الواقع لا يأتي سفر عزرا على ذكر مساحة هذا الهيكل وأوصافه. ويدعي عزرا أن الهيكل القديم هو الذي أوحى لهم بأن يبنوا على أساسه الهيكل الجديد. وهذا يعني أن

الهيكل الذي زعموا أن النبي سليمان قد بناه قد أعيد بناؤه من جديد في ظل الخراب والسيوف الفارسية.

وحين يتحدث كاتب التوراة عن عودة التسرب اليهودي إلى القدس وفلسطين يفترض أن أرض فلسطين بلا شعب وأن اليهود شعب بلا أرض. وهي نفس مقولة هرتزل والحركة الصهيونية الحديثة.

وحين نتابع المسيرة التاريخية نرى أن فلسطين كباقي أقطار المنطقة تعرضت لغزو إغريقي على يد الإسكندر. وقد أصبح وضع اليهود المتسربين متأرجحاً بين السلوقيين والبطالسة وظل هذا الوضع حتى عام 164 ـ 175 ق.م عندما أقدم الملك السلوقي أنطيوخس الرابع على تدمير ما يسمى الهيكل الثاني ونهب خزائنه، وإجبار اليهود على اعتناق الوثنية اليهودية.

وفي عام 64 ق.م احتل القائد الروماني بومبي فلسطين وسوريا وضمهما إلى روما وظل هذا الوضع قائماً حتى حكم فلسطين هيرودس الآدومي وفي عهده شيّد معبداً وأطلقوا عليه اسم الهيكل لكن اليهود كانوا يمقتونه لقساوته ووحشيته ولاندفاعه في نشر الثقافة اليونانية والرومانية وإنشاء معابد للأصنام في المدن الفلسطينية. وفي سنة 70 م أودعت القيادة في فلسطين إلى تيطوس ابن الإمبراطور فسيسيان فسيطر على الموقف وتمكن من القضاء على حركات التمرد في فلسطين ودخل مدينة القدس سنة 70 وأوقع مذبحة كبيرة في اليهود والسكان الفلسطينيين، وضرب المدينة وأحرق هيكلها وذبح كهنته وأزيل هذا المعبد من الوجود نهائياً.

والملفت للنظر أن هادريان حوَّل القدس إلى مدينة رومانية وحرم على اليهود سكناها وبدل اسمها إلى إيليا كبتولينا. وأقيم في القدس معبد للإله الروماني جوبيتر.

وحول مبالغات التوراة بشأن ما يسمى الهيكل يقول حناحنا:

(أما حول المبالغات التوراتية بشأن الهيكل فأنا لا أستوعب هذه الأكاذيب التي امتازت بها التوراة لعدة أسباب، فلو أردنا أن نتكلم قليلاً بشيء من المنطق نقول: إن مكتشفات الركيولوجيين والمنقبين أتحفونا بكثير من الكنوز التي لا تقدر بثمن مثل معبد الكرنك بمصر الذي تعاقب على بنائه عدة فراعنة، وكذلك مكتبة آشور بانيبال التي كانت

تحوي عشرات الالاف من الرُقم الطينية الصغيرة والكبيرة، وهي بمثابة كتب وثائق ومراجع أغنت متاحف العالم، أما بالنسبة لهيكل سليمان المزعوم فعلى الرغم من عشرات الحفريات خلال المئة سنة الماضية وحتى اليوم لم يعثر المنقبون على أي أثر يدل على أنه كان هناك شيء اسمه الهيكل ولا يوجد حتى مصدر تاريخي واحد أثبت وجود الهيكل عدا التوراة)[1].

كيف نظر أنبياء بني إسرائيل لما يسمى الهيكل؟

ترتبط نبوءات أنبياء بني إسرائيل بالفساد الذي استشرى بينهم. فعلى الرغم من تحذيرات الأنبياء وتنبيههم لبني إسرائيل، إلا أنهم ظلوا على فسادهم منحرفين تماماً عن عبادة الإله الواحد ومبتعدين عن شريعة موسى عليه السلام.

وقد ارتبطت النبوءات بالمعبد الذي أطلقوا عليه الهيكل، باعتباره حسب نص التوراة رمز العقيدة اليهودية ورمز التسرب والاستعمار اليهودي لأرض فلسطين. وقد برزت عشرات النبوءات حول هذا المعبد وجميعها ينذر بأنه سيدمّر ويُخرّب وتؤخذ منه الأدوات والأواني الذهبية. وهكذا يقضي الرب قضاءه في بني إسرائيل وطقوسهم ومعابدهم.

في سفر أشعيا وفي الإصحاح التاسع والثلاثين، يتنبأ إشعياء بأن ملك بابل سوف يأتي إلى القدس ويأخذ من معبد رب إسرائيل كل الذهب والفضة.

يقول كاتب التوراة: (فجاء إشعياء النبي إلى الملك حزقيا وقال له ماذا قال هؤلاء الرجال ومن أين جاؤوا إليك فقال حزقيا جاؤوا إلي من أرض بعيدة من بابل. فقال: ماذا رأوا في بيتك فقال حزقيا: رأوا كل ما في بيتي ليس في خزائني شيء لم أرِهم إياه فقال إشعياء لحزقيا: اسمع قول رب الجنود هوذا تأتي أيام يُحمل فيها كل ما في بيتك وما خزنه آباؤك إلى هذا اليوم إلى بابل) إشعياء 39: 3 ـ 6.

ويتنبأ إرميا وهو من الأنبياء الذي عذبهم بنو إسرائيل وأهانوهم ـ فيرى أن هذا المعبد سيصبح خراباً في أيام قريبة آتية.

يقول مجيباً عن مصير هذا المعبد في إحدى المرات (ويكون هذا البيت وتكون هذه المدينة خربة بلا ساكن) وكانت هذه النبوءة في السنوات الأولى من حكم يهوياقيم وداخل

(1) حنا حنا: دراسات توراتية ص 393.

معبد القدس ذاته حين اجتمع هناك جمهور من الشعب وسمع الكهنة والأنبياء وكل الشعب إرميا يتكلم بهذا الكلام في بيت يهوه.

وفي نبوءة أخرى يحذر إرميا بني إسرائيل على لسان يهوه قائلاً:

(لكن اذهبوا إلى موضعي الذي في شلوة الذي أسكنت فيه اسمي أولاً وانظروا ما صنعت به من أجل شر شعبي إسرائيل. والآن من أجل عملكم هذه الأعمال يقول الرب وقد كلمتكم مبكراً ومكلماً فلم تسمعوا. ودعوتكم فلم تجيبوا أصنع بالبيت الذي باسمي عليه الذي أنتم متكلمون عليه وبالموضع الذي أعطيتكم وآباءكم إياه كما صنعت بشلوة).

وهذا الكلام يعني به المعبد الذي بناه بعض أسباط إسرائيل في قرية شلوة وجاء وقت دُمر تدميراً كاملاً، فكما فعل يهوه بهذا المعبد فإنه سيفعل أيضاً بالمعبد الذي كان قد بناه الإسرائيليون في أطراف القدس.

والواقع أن النبوءات التي جاء بها إرميا قد تحققت عندما قام البابليون بحصار القدس المحتلة من قبل بني إسرائيل. وقد هُدمت أسوار المدينة وأحرق معبد يهوه الذي بني منذ أيام الملك سليمان كما تقول التوراة[1].

ومن المهم أن نذكر أن بعض أنبياء بني إسرائيل ربطوا نبوءاتهم حول خراب معبد يهوه بما فعله بنو إسرائيل من فساد وآثام.

وقد كان النبي حزقيال شاهداً على حوادث الخيانة المقيتة من جهة شعب يهودا بحق إلهه، وذلك في بيت يهوه بالذات، أي في معبد القدس الذي تحدثت عنه التوراة.

فيقول حزقيال: إن الإله شده من شعره ورفعه بين الأرض والسماء وأتى به من بابل إلى القدس ليريه ماذا فعل بنو إسرائيل في معبده. فشيوخ بني إسرائيل يتعبدون للأصنام ونساؤهم جالسات يبكين على إله البابليين تموز ورجال آخرون يديرون ظهورهم باتجاه مذبح المعبد ويتعبدون نحو الشرق باتجاه الشمس.

لذلك أيضاً نرى الأنبياء المتأخرين يتحدثون على لسان يهوه بأنه ليس بحاجة إلى معبد يعبد فيه. ففي نبوءات إشعيا الثالث يؤكد فيها يهوه أنه ليس في شديد حاجة إلى

---

(1) أنبياء التوراة، ريجسكي. ترجمة آحو يوسف ص 16.

المعبد (هكذا قال يهوه.. السموات كرسيي والأرض موطئ قدمي أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي).

على أية حال فإن أنبياء بني إسرائيل ما قبل التحرير البابلي وأثناءه وحتى بعده ظلوا يقرّعون بني إسرائيل لما فعلوه من موبقات في ذلك المعبد الذي تحدثوا عنه. ومع ذلك لابد أن نشير هنا إلى حقيقة واضحة وهي أن المعبد الذي تحدثوا عنه يتراوح بين المعبد الخيالي الخرافي والمعبد الصغير الذي لا يتجاوز بناؤه الغرفة الكبيرة. وهذا ما جاء في كلام التوراة نفسها.

وما يهمنا في ذلك أن التناقض التوراتي الكبير في وصف هذا المعبد يؤكد المقولات التي ترجح طغيان الخيال والخرافة على الواقع والملموس.